وكتب الاستاذ (R. Rist) دراسة عنوانها، المدرسة الحضرية: مصنع للفشل، عام 1973، التي نشرت في وقت الدراسة التي قدمها (Wolcott)، وقد اتجه الباحث فيها الى توثيق الفصول الدراسية وغرفة الصف بوصفها المعبرة عن مستوى تفاعل الوجه للوجه لنسق العلاقات المعقدة التي تربط الفقراء والسود المضطهدين في المجتمع الامريكي وعملها في المحافظة على بنائهم الرسي. غاية هذه الدراسة الطولية توضيح مدى إصرار وعناد الافارقة السود تجاه الرس الابيض من خلال المدرسة المخصصة لهم ضمن مجتمع سانت لويس المحلي الذي ينتمون اليه، اذ حاول الباحث التقيد او الالتزام بتوجهات التحليل الوظيفي، وبيان الكيفية التي شكلت الفصول الدراسية على انها نموذج مصغر للمجتمع الأكبر، وطبيعة المواقف والافتراضات اللازمة التي تديم عدم المساواة الشرعية مع الرس الابيض، اذ رصد (R. Rist) وقائع الفصول الدراسية لثلاثين طفلا من يومهم الاول لدخول رياض الأطفال وحتى الانتقال عبر المراحل والوصول الى الدراسة الابتدائية(الصف الثاني) ومهاراتهم في التعامل مع هذه الوقائع، وقد استمر بجمع وقائع مهاراتهم لمدة ثلاث سنوات تبدأ مع مهام جدول رياض الأطفال في الأسبوع الأول من الدخول، وتتبعهم من سنة إلى أخرى، ومن المعلم إلى مجموع المعلمين الذين تواكبوا في تعليمهم، حتى أنها أصبحت (الوقائع) نظاما طبقيا غير قابل للتغير تقريبا، على الرغم من تشكيلها تصنيفات ظاهرية وفقا للقدرة الفكرية للأطفال، وتوضح الدراسة كيف يشكل ويوجه المعلمين بعض الأطفال نحو النجاح الأكاديمي وغيرهم من المعلمين نحو الفشل والسبب في ذلك لان اغلب الاطفال من الفقراء والزنوج السود وكذلك المعلمين، مع ذلك، توقع الباحث من ان معظم مسؤوليات المعلمين تجاه عمل الوقائع هي بشكل سيء، اذ تبدو التمارين الرئيسة التي تدور في الفصول الدراسية الى أن تكون تدريباً لحياة الفشل بدلاً من النجاح، واعتاد المعلمين عند التعامل مع وقائع الفصول الدراسية الى استعمال رموز اللباس والكلام والسلوك الاجتماعي والطبقة الاجتماعية، لفرز الأطفال إلى مجموعات، وقد اتضح تعلم الأطفال بشكل اسرع عند استعمال نفس هذه الترميزات التي تم اكتسابها من المعلمين في التفاعلات الخاصة وتتجلى أيضاً في حياتهم العملية. تضم الدراسة تفصيلات كثيرة لذلك الحوار الفعلي القائم بين المعلمين والأطفال وهو في واقع الحال مجسداً بوضوح نكهة الوضع في الفصول الدراسية (Rist 1973: p254).

ان واحدا من المصادر التقليدية للفخر الأمريكي (دائما) الرقي الذي تمنحه الى مواطنيها من خلال التعليم العام الشامل. بغض النظر عن الدخل أو العرق أو الخلفية، ويفترض منح جميع الأطفال فرصة متكافئة للتعلم، وبالتالي المضي قدما في حصة للحياة الجيدة. وقد دل على أن هذا الاعتقاد من باب الأسطورة لا اكثر وانه في حاجة ماسة إلى إعادة تقييم. واوضح الباحث الضرورة الملزمة بتحرير النفس من تلك الافتراضات المعنية بالمهام الأسطورية للمدارس حيث أنه يمكنها أن تبدأ بتلبية احتياجات الأطفال بطرق إنسانية ولا تتطلب التعامل معهم أكثر من مجرد أطفال (Rist 1973: p254).

بدأت الإثنوغرافيا تولي اهتماما متزايداً نحو الأهمية الاجتماعية لذلك التباين الذي يقوم على النوع والرس والطبقة والاثنية. وان تلك الاهتمامات الاقدم التي تتعامل مع الثقافة والشخصية، والتي تمجد او تظفي طابعا مثاليا لوجهات نظر المدارس كمحركات الديمقراطية، قد حجبت بالانتقادات الموجهة للتعليم المدرسي بوصفه إدامة للفشل الدراسي الموجود بين الأقليات.

اذ تعامل الاستاذ[[1]](#footnote-2)\* (J. Ogbu) مع زنوج غرب أفريقيا الذين يعيشون في أمريكا ونحو مسألة فشل المدرسة المتفاوت لأطفال جماعات الأقليات في الاحياء الواطئة الدخل (Burgherside) في مدينة ستوكتون، في كاليفورنيا الذي تقطنه أغلبية من الزنوج السود والمكسيكيين الأميركيين الذين يشكلون نحو 92٪ من تلاميذ المدارس الابتدائية. تستكشف دراسته الأسباب التي دفعت الكثير من أطفال الحي الى الفشل في المدارس العامة بصياغة السؤال الاتي: لماذا يفشل اغلب أطفال الأقليات في المدرسة الذين يعيشون في المدن؟ اذ اتجه هدف الدراسة الى الكيفية التي توضح تصوراً لنظامهمالتعليمي ومكانهم فيه، وكيف تؤثر هذه التصورات في طريقة التصرف ضمن النظام. وشمل البحث في المجموعات الاتية في مدينة ستوكتون:

1. الاقلية الزنجية في الحي.
2. سكان الأحياء المجاورة الذين تشاركوا بنفس مدارس الإعدادية والثانوية.
3. المنظمات والقيادات التي تمثل مصالح الأقليات التابعة في المجتمع المحلي الاوسع**.**
4. العاملين في المدرسة.

\* جون اوكبيو (1939-2003) انثروبولوجي نيجيري-امريكي، نال شهادة الدكتوراه عام 1971 من كاليفورنيا، عد واحدا من ابرز علماء الفكر الأنثروبولوجي في القرن العشرين، اذ عرف بتوجهاته نحو الظواهر قيد الملاحظة المرتبطة بالرس والذكاء، وخاصة بيان الكيفية التي لعبت بها الاختلافات الرسية دورا مهما في التحصيل العلمي والاقتصادي للأقليات، فالأقلية عنده مثل الطائفة، مؤثرة بالدافع والانجاز والاكتئاب ودرجات معدل الذكاء...له مؤلفات عديدة مثل:

تعليم الأقلية والطبقة عام 1978.

أصول الكفاءة البشرية، منظور ايكولوجي - ثقافي عام 1981.

التباين في الأداء المدرسي للأقليات: مسائل في البحث والتوضيح عام 1987.

1. دافعي الضرائب، وفئة الطبقة المتوسطة، والمنظمات التي تشكلت للمساعدة في حل القضايا والمشكلات التي تعترضهم والجماعات المماثلة لهم (Ogbu 1974: pp1-13).

استندت فحوى توجهاته النظرية على الرأي الدوركايمي، أنه عندما يميل سلوك عدد كبير من الناس داخل مجتمع ما، أو أي جزء منه، عن المعيار، إذاً يجب أن تكون المشكلة مشروحة بشكل أوضح من حيث سلوك الجماعة وليس لأي فرد من أفرادها او من افراد تلك الجماعة. وقال أن الفشل المدرسي ينبغي عدم عده بالشاذ او غير الطبيعي، وانما يتأثر بالعوامل التاريخية والثقافية والبنائية ومواقع أولئك الذين اصابهم الفشل ضمن نظم من علاقات القوة غير المتكافئة (دافعي الضرائب/غير دافعي الضرائب العلاقات الزبائنية). وعد معدلات الفشل المرتفعة الى كل من ردود الفعل تجاه الارساس الاخرى بالإضافة الى التكيف مع التمييز الرسي المتفشي في المجتمع الأمريكي، والفرص المحدودة لتجاوزها. وقد تحدى (J. Ogbu) الموضوعات النفسية مثل الحرمان الثقافي (Cultural deprivation) وأكد على أهمية النظر في مختلف النظم الشعبية ونظريات التعليم القائمة في الواقع التجريبي بدلاً من الواقع الاجتماعي، ويختتم توجهاته من أن المصدر الحقيقي للفشل المدرسي يكمن في المجتمع المحلي الأوسع. وما المدارس بما فيها من المسؤولين والمستشارين، والمدرسين، والتلاميذ وهلم جرا الا مجرد ملعبا للأدوار التي يعينها المجتمع لهم (Ogbu 1974: p16). هنا قد نلاحظ مدى تأثير واصداء الإيكولوجيا الثقافية(Cultural Ecology)، على وجه التحديد في تركيزها على التكيف لشرح الوظائف التكيفية لفئات اجتماعية معينة مثل الأمريكيين من أصل أفريقي[[2]](#footnote-3)\*.

واكبت توجهات علماء انثروبولوجيا التربية وإثنوغرافيا التعليم انبثاق مفهوم وتوجه الدراسات الثقافية[[3]](#footnote-4)\*\* في سبعينيات او العقود الأخيرة من القرن الماضي. وان العمل ضمن هذا المنظور الجديد المتعدد

1. \* جون اوكبيو (1939-2003) انثروبولوجي نيجيري-امريكي، نال شهادة الدكتوراه عام 1971 من كاليفورنيا، عد واحدا من ابرز علماء الفكر الأنثروبولوجي في القرن العشرين، اذ عرف بتوجهاته نحو الظواهر قيد الملاحظة المرتبطة بالرس والذكاء، وخاصة بيان الكيفية التي لعبت بها الاختلافات الرسية دورا مهما في التحصيل العلمي والاقتصادي للأقليات، فالأقلية عنده مثل الطائفة، مؤثرة بالدافع والانجاز والاكتئاب ودرجات معدل الذكاء...له مؤلفات عديدة مثل:

   تعليم الأقلية والطبقة عام 1978.

   أصول الكفاءة البشرية، منظور ايكولوجي - ثقافي عام 1981.

   التباين في الأداء المدرسي للأقليات: مسائل في البحث والتوضيح عام 1987. [↑](#footnote-ref-2)
2. \* للمزيد من التفصيل عن مفهوم الايكولوجيا الثقافية، ينظر بحثنا الموسوم بـ(جوليان ستيوارد ومفهوم الايكولوجيا الثقافية-بحث في الانثروبولوجيا الثقافية، مجلة كلية الاداب، الجامعة المستنصرية العدد (69) الجزء الثاني، لسنة 2015. [↑](#footnote-ref-3)
3. \*\* الدراسات الثقافية: مجال نظري وسياسي وامبريقي التزم التحليلات الثقافية التي تم تطويرها اول الامر من الأكاديميين البريطانيين وانتظمت فيما بعد فيما يعرف باسم مدرسة برمنغهام أواخر الخمسينيات من القرن الماضي واستمرت تقريبا ثلاثة عقود، يشمل هذا المجال مجموعة واسعة من وجهات النظر والممارسات النظرية والمنهجية. على الرغم من أن اختلافه عن تخصصات الأنثروبولوجيا الثقافية والدراسات الإثنية والثقافية الا انها ساهمت في كل حقل من هذه الحقول. تركز الدراسات الثقافية على الديناميات السياسية للثقافة المعاصرة، والأسس التاريخية، والصفات المحددة، والصراعات. ويركز الباحثون على كيفية ترتبط الممارسة الثقافية بنظم أوسع للسلطة المرتبطة أو التي تعمل من خلال الظواهر الاجتماعية، مثل الإيديولوجيا والبناءات الطبقة، والتشكيلات الرسية والاثنيات...وما إلى ذلك، ان منظور الدراسات الثقافية هو ألا تكون ثقافة الكيانات الاجتماعية ثابتة، ومحدودة ومستقرة، ومنفصلة، وإنما بوصفها مجاميع السلوك البشري والممارسات في تفاعل مستمر ومتغير.

   \* للمزيد من التفصيل عن مفهوم الايكولوجيا الثقافية، ينظر بحثنا الموسوم بـ(جوليان ستيوارد ومفهوم الايكولوجيا الثقافية-بحث في الانثروبولوجيا الثقافية، مجلة كلية الاداب، الجامعة المستنصرية العدد (69) الجزء الثاني، لسنة 2015.

   \*\* الدراسات الثقافية: مجال نظري وسياسي وامبريقي التزم التحليلات الثقافية التي تم تطويرها اول الامر من الأكاديميين البريطانيين وانتظمت فيما بعد فيما يعرف باسم مدرسة برمنغهام أواخر الخمسينيات من القرن الماضي واستمرت تقريبا ثلاثة عقود، يشمل هذا المجال مجموعة واسعة من وجهات النظر والممارسات النظرية والمنهجية. على الرغم من أن اختلافه عن تخصصات الأنثروبولوجيا الثقافية والدراسات الإثنية والثقافية الا انها ساهمت في كل حقل من هذه الحقول.

   . تركز الدراسات الثقافية على الديناميات السياسية للثقافة المعاصرة، والأسس التاريخية، والصفات المحددة، والصراعات. ويركز الباحثون على كيفية ترتبط الممارسة الثقافية بنظم أوسع للسلطة المرتبطة أو التي تعمل من خلال [↑](#footnote-ref-4)